إلى مسيحيي بلادي

وائل راوي

على أرضنا تجسدَ الإله وصار إنساناً، وبين حنايا بيوتنا وعلى طرقات ضَيعِنا سارَ وتكلم وعلم وصـنع المعجـزات، عاشر الضعفاء والمساكين، والخطاة والعشارين، وعامَلَ بالمِثْل الأغنياءَ والمستكبرين، فأحب الجميع، وأشفقَ على الجميـع، لأنه جاء ليخلصَ الجميع.

وانطلقت رسالةُ المسيح، على يد تلاميذه وعـشاقه، من بعد قيامته وصعوده، من بلادنا إلى أقاصي الأرض وأطراف المسكونة. وفي ديارنا، وبالذات في أنطاكية، دعيَ التلاميذُ "مسيحيين أولاً". فيحق لكم، إذاً، أن تفتخروا بذلك. ومع الافتخار تأتي المسؤولية، فـأنتم نور العالم، وأنتم ملح الأرض. أنتم دعوةٌ كبيرةٌ، طاقةُ خلاصٍ. أنتم كذلك بفضل مـن تـسميتم باسمِـهِ، واصطبغتم به، ولبستموه.

لكن حاذروا، فبدونه لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً. هـذه بعـض مشاكلكم: أنكم تظنون أنكم تقدرون بدونه أن تظلوا شيئاً، وأنكم تظنون أن الآخرين، سواكم، ليسوا شيئاً، وكأن المسيح لا يقدر أن ينعم على مـن يشاء أو يخلص من يشاء. أجل، كل شيء آتٍ من المخلص الذي تعبـدون، وله تسجدون، وحياتكم تكرسون: كل حق، وكل طهارة، وكل جلال، وكل تطلع. وليس في العالم خـير أو جمالٌ أو حق إلا والمسيح مصدره، وله فيه لمسة.

أنتم لستم غاية العالم ولستم مصدر الكون، فالعالم وضِعَ لخدمتكم، وأنتم صِرتم إلى الوجـود في هذا العالم لخدمة خالق الكون. الخادم يستمع إلى رغبات سيدِهِ. إنه أذنان ناصتتان تسمعان أوامره فيـصير يداً تنفذ مشيئته العزيزة. لا تتسلطوا على الآخرين. كل فكرة السيادة يجب أن تغيبَ عنكم في إيمـانكم. وإنْ أعطاكم الله سيادةً، فهي تتأتى عن خدمتكم المتفانية له باتضاع. التفوق والأفضلية على الآخرين إنمـا هي وهم وخرافة، وأنانية في القلب.

العلم والمعرفةُ حق وواجب، آخذان بالتوسـع بـين الناس، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، رجالاً ونساءً، على حـد سواء. وإن الإبداع، اليوم، هو مرحلةٌ من مراحـل ارتفـاع الإنسان وسموه، حضور خفي للمسيح في العالم، وبالتالي فعلى تلاميذ السيد واجب المساهمة بتنشئة العالم، وتحويله، وإصلاحه

للخير، واجب تفرضه محبتهم لهذا العالم، الذي الله خلقه.

إن كانت لكم هذه الرؤية المسيحية للأمور اليوم، فهذا يعني أنكم، أنتم المـسيحيين، ينبغـي أن تكونوا، في كل بقعة من الأرض، في حالة عطاءٍ وحالة أخذٍ، أي في وضع مشاركة ومبادلة. فالمؤمن لـيس فقط يعطي بسخاء، ولكنه يأخذ أيضاً بالبساطة نفسها والتواضع نفسه اللذين يعطي بهما. أنتم في وضـع العطاء لأن المسيح أنعم عليكم بالكثير وفي هذا فرح لكم، والفرح يزداد عندما تأخذون، وبعرفـان، لأن هذا نعمة ينعم الله عليكم بها بواسطة الآخرين.

وهكذا تساهم بلادنا، على صغرها، في المجـال العـالمي، بفكـرة المشاركة التي لم تكتشفها الأمم العملاقة المستأثرة حتى اليوم. ولكن الأهـم أن تدركوا أن الحياة هي أن ينسى الإنسان نفـسَه، ليكتـشف، في آخـر المطاف، أنه يجد نفسه. لعلكم، حتى الآن، لم تعرفوا الآخر في الرب. تنظرون إليه في قباحته. كل إنسان، له تقلباته، وضعفاته، ولا يخلو من سخف ومراوغة وأنانيـة. ولكـن شـناعة المخلوق لا تزيل عن وجهه مسحة الخالق. كل إنسان لديه دعوة، وطاقات الله كامنة فيه، في امتداداته إلى اللامنتهي. فإن نظرتم إلى المسيح فيه، فإنكم تحيونَ فيه الإنسانَ الإلهي الذي يمكنه أن يصيرَه. الحق أقـول لكم: إنكم أنتم لستم بشيء. إنكم بلا مسيح إن كنتم لا تنظرون إليه كذلك. أما إنْ كانت المحبةُ فـيكم، والتي يقوم عليها حضور المسيح، فإنكم تبنون الإنسان والأوطان. فمن المحبة تستمدون معناكم لأنها هـي عندكم كل شيء وبدونها تصبحون العدم. فالمحبة هي الحق وهي الفاعلة وهي الأعظم.

شـــكراً للتقيـــد بالحقـــوق شـــبيبة للمســـيح info@shabeeb4christ.com www.shabeeba4christ.com